

محمد حمشي | Mohamed Hamchi*

الدراسات النقدية للإرهاب بوصفه حقلاً معرفياً ناشئاً:
مراجعة "دليل راوتليدج إلى الدراسات النقدية للإرهاب"

Critical Terrorism Studies as an Emerging Discipline
Review of Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies

عنوان الكتاب في لغته: *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*

عنوان الكتاب: دليل راوتليدج إلى حقل الدراسات النقدية للإرهاب.

المؤلف: ريتشارد جاكسون Richard Jackson

دار النشر: Routledge, London and New York

سنة النشر: 2016.

عدد الصفحات: 160 صفحة.

* أستاذ العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة أم البواقي، الجزائر.

* Professor of International Relations, Department of Political Sciences, Uom El Bouaghi University, Algeria.

مقدمة⁽¹⁾

نقدية للإرهاب"، و"دراسات في النزاعات والإرهاب"، و"الإرهاب والعنف السياسي" - تطور هذا الحقل المعرفي الناشئ بفضل صدور مجموعة من الكتب المتخصصة، أبرزها دليل راوتليدج إلى حقل الدراسات النقدية للإرهاب الذي أصدرته مؤسسة راوتليدج في سنة 2016، وهو دليل موسّع Handbook إلى هذا الحقل المعرفي الناشئ؛ يختلف إشكالياته ومقارباته النظرية، وحججه وأطروحاته، وفجواته واتجاهاته البحثية. حرّر الكتاب ريتشارد جاكسون R. Jackson، أستاذ دراسات السلام في جامعة أوتاغو بنيوزيلندا، وشارك في كتابة فصوله خمسة وعشرون باحثًا متخصصًا في دراسات الإرهاب من منظور نقدي. وتسعى هذه المساهمة النقدية لتقديم مراجعة لهذا الكتاب. وهي تنقسم إلى جزأين؛ إذ يقدم الجزء الأول قراءة عامة ومقتضبة في محتويات الكتاب، ويحاول الجزء الثاني التوسع في مناقشة أبعاد المشروع النقدي وحدوده في حقل الدراسات النقدية للإرهاب، استنادًا إلى أهم الأطروحات الواردة في الدليل.

أولاً: محتويات الدليل

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الفصول تحاول فحص الكيفية التي تساهم بها الدراسات النقدية للإرهاب في تشكيل فهمنا له، وفي مكافحته، خطابًا وممارسة. وهو ينقسم إلى مقدمة - وتعدّ الفصل الأول في ترتيب فصول الكتاب، وقد كتبها المحرر ريتشارد جاكسون، بعنوان "عقد كامل من الدراسات النقدية للإرهاب" - وخمسة أقسام مؤلفة من ستة وعشرين فصلًا⁽²⁾.

1. مقاربات نقدية لدراسة الإرهاب

يتناول هذا القسم مجموعة من الإشكاليات الرئيسة التي يثيرها حقل الدراسات النقدية للإرهاب على مدى السنوات العشر الماضية حول كيفية دراستنا للإرهاب. وتستلهم هذه الإشكاليات مختلف افتراضات النظرية النقدية في العلاقات الدولية؛ ومن أبرزها مقولة أن كل نظرية تأتي دائماً من "مكان ما"، من أجل "شخص معيّن"، خدمة لـ "غرض ما"⁽³⁾، ومن ثمّ ينبغي أن يكون تفكير الباحث تأملياً حيال السياقات التي تتم وتتطور فيها الأبحاث حول ظاهرة ما.

يحاول هذا القسم أن يجيب عن بعض الأسئلة، من بينها: من أين تأتي دراسات الإرهاب ثم الدراسات النقدية له؟ وكيف يؤثر ذلك في تطورها لاحقاً؟ وبذلك، فهو يبحث في جذور دراسات الإرهاب؛ خطاباً ومادة معرفية، وهي جذور تمتدّ إلى فترة الحرب الباردة، إذ نُشرت أبحاث عديدة

ظهرت الدراسات النقدية للإرهاب، بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، بوصفها مقارنة بديلة من الأدبيات التقليدية السائدة في حقل دراسات الإرهاب. وهي تسعى، فضلاً عن استكشاف فهم مبتكر للظاهرة، لنقد الكيفية التي يُساء بها استخدام "الإرهاب" و"الحرب على الإرهاب"، خطاباً وممارسةً.

يستلهم هذا النوع من الدراسات أطروحات النظرية النقدية في العلاقات الدولية، خصوصاً المرتبطة منها بمدرسة فرانكفورت ومدرسة أيريسستويث للدراسات الأمنية النقدية. وعلى سبيل الامتداد للمدرسة البنائية في العلاقات الدولية، تحتاج هذه الدراسات بأنّ الإرهاب ليس معطى موضوعياً، لكنّه مبنيّ اجتماعياً Socially constructed. ومثل غيره من التهديدات الأمنية المبنية اجتماعياً، لا يُسمّى الإرهاب إرهاباً إلا إذا اعتبرته النخب إرهاباً، وتكلّمت عنه بوصفه إرهاباً أيضاً. على هذا النحو، لا يكون الإرهاب سابقاً على الخطاب الذي يقدمه على أنه كذلك. وبعبارة أخرى، لا يوجد الإرهاب وجوداً موضوعياً خارج اللغات، والأفكار، والهويات، والخطابات التي يبتناها مختلف الفواعل.

”

تسعى الدراسات النقدية للإرهاب لـ "نقد" الخطابات والممارسات المرتبطة بمكافحة الإرهاب والحرب "العالمية" عليه، والكيفية التي يتم بها توظيف ذلك مبرراً لإجراءات وتدابير تخص تقويض الحريات، وانتهاك حقوق الإنسان

“

فضلاً عن ذلك، تسعى الدراسات النقدية للإرهاب لـ "نقد" الخطابات والممارسات المرتبطة بمكافحة الإرهاب والحرب "العالمية" عليه، والكيفية التي يتم بها توظيف ذلك مبرراً لإجراءات وتدابير تخص تقويض الحريات، وانتهاك حقوق الإنسان. وبذلك، فهي، بدلاً من القضاء على الإرهاب، تتحوّل إلى مصدر لتغذية الإرهاب نفسه. غير أنّ هذه الدراسات لا تكتفي بالنقد، بل تبحث في الأشكال غير العنيفة لمكافحة الإرهاب.

وفضلاً عن العديد من المقالات المحكّمة - لا سيما تلك التي نشرت حديثاً في ثلاث دوريات متخصصة، هي: "دراسات

2 للاطلاع على تفاصيل بشأن هذه المحتويات، انظر:

Richard Jackson (ed.), *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*, Routledge Handbooks (London and New York: Routledge, 2016), pp. 20-38.

3 Robert Cox, "Theory, Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations," *Millennium*, vol. 10, no. 2 (1981), p. 128.

1 يتقدم الباحث بجزيل الشكر إلى الدكتور عبد النور بن عنتر، الأستاذ في جامعة باريس 8، على تعقيباته القيّمة على مسوّدة هذه المراجعة.

مداخلات مهمة، لا سيما من خلال فضحها الكيفية التي يبالغ عن طريقها القادة السياسيون ووسائل الإعلام في تقديم التهديد الإرهابي في المجتمعات الغربية، والأهم من ذلك، الكيفية التي يتم بها التلاعب بخوف الجمهور من أجل الحصول على مكاسب سياسية ومادية أيضاً. يجري إعادة طرح هذه الأسئلة؛ بالنظر إلى أن الخطر الذي يشكّله الإرهاب غالباً ما كان مبالغاً فيه إلى حد بعيد، سواء كان تهديداً للسلامة الشخصية للمواطن، أو لأسلوب الحياة الغربية، أو لسلامة الدولة بوصفها مؤسسة. ونتيجة لذلك، كانت ردة الفعل تجاه تهديد الإرهاب، منذ 11 سبتمبر 2001، غير ضرورية Unnecessary، وجاءت آثاره على العكس تماماً مما كان مأمولاً. وتقدم الدراسات النقدية للإرهاب فضاءً معرفياً واسعاً لفهم طبيعة هذه المبالغة ومداهها وعواقبها؛ سواء كان ذلك في الخطاب المناهض للإرهاب، أو في إجراءات ردة الفعل لمكافحةته.

”

تبرز الدراسات النقدية للإرهاب الدور الخفي أو المنسي للمرأة؛ سواء كان ذلك في الجماعات المسلحة أو في جماعات مكافحة الإرهاب، والكيفية التي يُدرس بها انخراط النساء في هذا المجال ويُفهم.

”

يسلّط هذا القسم الضوء أيضاً على إسهامات الدراسات النقدية للإرهاب في فضح مغالطات أطروحة "الإرهاب الجديد"، وفضح الكيفية التي تعمل بها سرديات هذه الأطروحة على إضفاء الشرعية على ممارسات جديدة أكثر عنفاً في إطار مكافحة الإرهاب، كالتعذيب والقتل خارج نطاق القانون، فضلاً عن إضفاء الشرعية على مقاربات أمنية جديدة أكثر تدخلية؛ في مجال الشرطة، والجيش، وإدارة المخاطر، والمراقبة، وغيرها. من جهة أخرى، تقصّ هذه الفصول مضاجع أنصار التيار المهيمن في فهمهم لدور الدين في الإرهاب المعاصر؛ ذلك أنها تسلّط مزيداً من الأضواء على المغالطات الكامنة في صميم الخطاب الأكاديمي والسياسي السائد حول الإرهاب، فضلاً عن الوظيفة الخطابية الخطرة التي يؤديها الربط بين الدين والإرهاب.

كما تبرز الدراسات النقدية للإرهاب، في جزء مهم منها، الدور الخفي أو المنسي للمرأة؛ سواء كان ذلك في الجماعات المسلحة أو في جماعات مكافحة الإرهاب، والكيفية التي يُدرس بها انخراط النساء في هذا المجال ويُفهم. إضافة إلى ذلك، تُبرز الدراسات النقدية للإرهاب كيفية إخفاء السرديات المهيمنة أنماط الإرهاب اليومي، وأحياناً الحميمي، الذي تواجهه ملايين النساء من جراء عنف الأنظمة

في مجال مكافحة التمرد Counter-insurgency. كما يؤكّد القسم الأثر الذي ما زالت تمارسه هجمات 11 سبتمبر في أجندة البحث واتجاهاته، خصوصاً في ما يتعلق بالتركيز على العلاقة بين الإرهاب و"أمن الدولة".

كما يركّز هذا القسم على مجموعة من الإشكاليات الأنطولوجية والإبستمولوجية والمنهجية التي من المحتمل أن تشكّل موضوعاً لاهتمام الدراسات النقدية بالإرهاب. ويخلص إلى أن الإرهاب ليس إلا مجرد تصنيف مبني اجتماعياً أو مجرد أداة للدلالة اجتماعياً، من دون أي محتوى أنطولوجي جوهري، وتأثير ذلك في تراكم المعرفة حول الإرهاب، وفي أنماط الاستجابة لأعمال العنف التي توصف بأنها إرهاب.

ويقترح هذا القسم خريطة معرفية لمختلف الأنطولوجيات والإبستمولوجيات التي تستند إليها البحوث المتخصصة في الإرهاب؛ كالوضعية الجديدة، والتأملية، والواقعية النقدية. فهذه الأنطولوجيات والإبستمولوجيات هي ما يحدد ما يمكن أن نعرفه عن الإرهاب، والكيفية التي يمكن من خلالها أن نعرف ما نعرفه بشأنه.

إذا ما قاربنا خطاب الحرب على الإرهاب بـ "التوليف"، مثلاً، بين المقاربات البنائية وما بعد البنوية من جهة، والمقاربات التي تستلهم النظرية النقدية والفلسفة المادية – التاريخية من جهة أخرى، فإنه يمكننا أن نفهم أن الحرب العالمية على الإرهاب هي مرحلة تاريخية من التوسع الرأسمالي النيوليبرالي الذي تقوده الدوافع الجيوسراتيجية المهيمنة للولايات المتحدة، والتي تعكس، عبر مسار جدلي "معقّد"، خطاباً أوسع يقوم على مفاهيم الاستثنائية الغربية وصراع الحضارات وإدارة المخاطر وتؤسسه، من شأنه أن يضيف مزيداً من الشرعية على السياسات العالمية لمكافحة الإرهاب.

وتذكّرنا فصول هذا القسم بأنه لا تزال هناك إشكاليات كثيرة يقع على كاهل الباحثين النقيدين في مجال دراسة الإرهاب عبء التصدي لها. وعلى سبيل المثال، تركّز الكثير من دراسات تحليل الخطاب على الدول الغربية (القادة، ووسائل الإعلام، والرأي العام، والخبراء، وغير ذلك)، في حين أنه ليس هناك إلا دراسات قليلة جداً تولي خطابات الجماعات "الإرهابية" ومؤيديها أهمية. ومن الناحية المنهجية، هناك حاجة، في كثير من الأحيان، إلى إجراء مزيد من البحوث مباشرة مع الإرهابيين والمسلحين، من أجل فهم أفضل لذاتياتهم Subjectivities ووجهات نظرهم إلى العالم Worldviews.

2. طبيعة الإرهاب وأسبابه

في القسم الثاني، يجري البحث، أيضاً، في الأسئلة الجدلية التي تثيرها مسألة الإرهاب؛ مثل كيفية تعريف الإرهاب نفسه، وكيفية تقييم التهديدات الإرهابية، وإن كان هناك نوع جديد من الإرهاب، وإن كان الدين سبباً في الأشكال المعاصرة للإرهاب، وكيفية بروز الجندر بوصفه بعداً غير مسبوق للإرهاب، والكيفية التي ينبغي لنا أن نفهمه من خلالها. وفي هذا السياق، تقدم الدراسات النقدية للإرهاب

يرى محرر الكتاب (4) أن هناك عدّة أسباب تحليلية ومعيارية من شأنها أن تبرز تكريس المزيد من الجهود لدراسة إرهاب الدولة. على سبيل المثال، تساهم دراسات إرهاب الدولة في تعزيز فهمنا للإرهاب بوصفه ظاهرة سياسية؛ وذلك من خلال فهم السياق الذي استخدمت فيه الدول الإرهاب أول مرة، والكيفية التي ظلت تسعى من خلالها الفواعل غير الدول لمحاكاة العنف الذي تمارسه الدولة، فضلاً عن الكيفية التي يكون بها إرهاب الفواعل من غير الدول في العديد من المناطق مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بإرهاب الدولة. إضافةً إلى ذلك، هناك قيمة معيارية واضحة في الاهتمام بظاهرة عنف الدولة من أجل تحديد إن كان هذا العنف إرهاباً أو لم يكن كذلك؛ فمن المؤكد أن الإرهاب الذي ترتكبه الدولة يُعدّ غير شرعي، وغير قانوني بموجب القانون الدولي. علاوةً على ذلك، أصبح وصف "الإرهاب" في حدّ ذاته يحظى بقوة قانونية ومعيارية تدفع نحو تغيير السلوك. وإذا صار الضغط على الدول، أمراً ممكناً، عبر دراسات أكاديمية دقيقة ومحايدة، للحدّ من العنف الذي تمارسه خشية تسميته إرهاباً، فإنّ ذلك سيكون خطوة إيجابية بالنسبة إلى العديد من الضحايا المحتملين.

4. الاستجابات المعاصرة للإرهاب

يهتم القسم الرابع بمقاربات وسياسات متعلقة بمكافحة الإرهاب Counterterrorism والحرب على الإرهاب War on terror. ويتضمن، على غرار ما سبق، فصلاً عن مقارنة الدول الغربية لمكافحة الإرهاب، والبعد العسكري للحرب العالمية على الإرهاب، والمراقبة الجماعية، ومكافحة التطرف. ويحتاج هذا القسم بأنّ الدراسات النقدية للإرهاب يمكنها، بفضل ارتباطها بدراسات المراقبة، أن تساعد في فهم الكيفية التي يتم من خلالها تطعيم ممارسات مكافحة الإرهاب بمختلف تقنيات الحوكمة النيوليبرالية (مثل تقنيات المراقبة الجماعية وإدارة المخاطر، وممارسات الأمنة، وتوظيف هندسة الفضاءات الحضرية، وتصميم برامج مكافحة التطرف، وغيرها). وقد تطورت، خلال السنوات الأخيرة، أدبيات عديدة معمقة تسائل مركزية مكافحة الإرهاب، أو توظيف مكافحته مبرراً أساسياً لتعزيز إجراءات وتدابير متعلقة بمراقبة السكان، والتي تهدف إلى مراقبة الأشخاص والتنظيمات الخطرة، وحماية الحدود، ومراقبة المعارضة السياسية وتوجيهها، وحماية الثقافة الاستهلاكية في المجتمع. وتبيّن هذه الأدبيات أنّ مكافحة الإرهاب والحرب على الإرهاب، خطاً وممارسةً، أصبحتا في الوقت الراهن جزءاً لا يتجزأ من أنطولوجيا الدولة والرأسمالية النيوليبرالية.

الأبوية السائدة، وكيفية الإبقاء على معاناة ضحايا هذا الإرهاب في حدود العنف الممارس في "المجال الخاص" البعيد والمنفصل، تماماً، من سلطة "المجال العمومي" وضبطه.

3. إرهاب الدولة

يشدّد هذا القسم على أنّ موضوع إرهاب الدولة يُعدّ فجوة واسعة في حقلي الدراسات الأمنية ودراسات الإرهاب. ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل، من بينها الممارسة التاريخية للدول. فغالباً ما يتم استبعاد أفعال الدولة من تعريف الإرهاب؛ من جهة ارتباط دراسات الإرهاب، في جذورها، بدراسات مكافحة التمرد وما يترتب على ذلك من التعامل مع الإرهاب غير الدولتي، باعتباره مشكلة أمنية تحتاج إلى حلّ عبر الموازنة بين البحوث الأكاديمية وممارسات مكافحة الإرهاب، وتمويل الدولة للسواد الأعظم من البحوث حول الإرهاب، والدور الأوسع نطاقاً الذي تؤديه الجامعة بوصفها مؤسسة محافظة على النظام القائم، ودور التنشئة الاجتماعية والتدريب الأكاديمي، وغير ذلك.

من الواضح أنّ الباحثين الأرثوذكسين في مجال الإرهاب يميلون إلى الرفض التام لفكرة إرهاب الدولة، أو إلى المحاجة بأنّ إدراجها في أجندة البحث من شأنه أن يؤدي إلى تضخيم الأجندة، وتشويه الدراسات المتعلقة بالإرهاب غير الدولتي. وفي المقابل، يميل الباحثون النقديون إلى الدفاع عن حجة مفادها أنّ الدول يمكن أن تمارس الإرهاب أيضاً، ويفترضون أنّ هناك أسباباً تحليلية ومعيارية جديرة بالاهتمام؛ من أجل دراسة وفهم كيفية استخدام الدول الإرهاب (أو العنف بهدف الترويع) لأغراض سياسية. وعلى أقل تقدير، يُحاجّ الباحثون النقديون بأنّ كثيراً من أعمال الإرهاب التي تمارسها فواعل من غير الدول يمكن فهمها، على نحو أفضل، بوصفها ردّة فعل على إرهاب الدولة، أو بوصفها فعلاً على علاقة "سببية" وثيقة بإرهاب الدولة.

يقدم هذا القسم قراءة في التاريخ الطويل لإرهاب الدولة في الغرب، وممارسات التعذيب والتسليم والقتل المستهدف التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ممارسات مكافحة الإرهاب في العديد من الدول خلال فترات الحرب على الإرهاب. وتشدّد الدراسات النقدية للإرهاب على الطبيعة غير الأخلاقية لهذه الممارسات، وافتقارها الشرعية، وعدم فعاليتها، ودورها في إجهاد جهود الحد من الإرهاب، وآثارها المُفوّضة للمعايير والنظم القانونية، فضلاً عن آثارها السيئة في الاستقرار الإقليمي. من جهة أخرى، توفّر هذه الدراسات قاعدة أدلة صلبة للتعرف إلى الأنشطة التي حاولت الدول إخفاءها أو إنكارها. وهو ما مكن ناشطي حقوق الإنسان والمحامين وضحايا الانتهاكات من مواصلة النضال من أجل العدالة واكتشاف الحقيقة، فضلاً عن تمكين الباحثين والصحافيين من فهم أفضل لظاهرة إرهاب الدولة وأسبابها وعواقبها.

4 Richard Jackson, Eamon Murphy & Scott Poynting, "Introduction: Terrorism, the State and the Study of Political Terror," in: *Contemporary State Terrorism: Theory and Practice* (London and New York: Routledge, 2010), pp. 1-11.

الإرهاب، والتي تُعدُّ هدفاً للإجراءات الغربية التدخلية تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

5. نقاشات ناشئة

يناقش القسم الأخير من الكتاب عدداً من المواضيع التي تبرز بوصفها مجالات بحثية جديدة ومرتفعة الأهمية بالنسبة إلى حقل الدراسات النقدية للإرهاب. ويركز هذا القسم على الكيفيات التي يتسع من خلالها خطاب مكافحة الإرهاب ليشمل أشكالاً أوسع من الاحتجاجات والنشاطات السياسية، وخصوصاً في مجال البيئة، فضلاً عن الكيفية التي يعمل بها مجال الدراسات الإعلامية على إيجاد طرق جديدة لدراسة أثر الهجمات الإرهابية في البيئة الجديدة للإعلام وكيفية الاستجابة لها. كما يركز هذا القسم على دراسة السياقات التي تظهر فيها الذاكرة الجماعية، وتتطور، حول الهجمات الإرهابية، والدور الحاسم الذي تضطلع به هذه الذاكرة في السياسات الوطنية، والكيفية التي يمكن للحركات النقدية من خلالها، في حقلي دراسات السلام والإرهاب، أن تجد سُبلاً للتعامل مع مسائل العنف السياسي، على نحو أشمل. وبما أنَّ مكافحة الإرهاب تصبح، مع مرور الوقت، أعمق وأكثر تجذراً في مجتمعاتنا، فسيكون هناك حتماً المزيد من المجالات والقضايا التي تحتاج إلى بحوث نقدية أكثر جدية وأشد صرامة؛ مثل الدور المتنامي للشركات الأمنية الخاصة في مكافحة الإرهاب والحرب على الإرهاب، وعسكرة الشرطة بوصفها استجابة لضرورات مكافحة الإرهاب، والتأثر الناشئ والمتزايد بين سياسات/خطابات مكافحة الإرهاب والممارسات أو الخطابات "اليومية" للناس العاديين⁽⁵⁾.

ثانياً: حدود النقدي في الدراسات النقدية للإرهاب؟

يقدم هذا الكتاب قيمة مضافة واضحة لحقل دراسات الإرهاب. ومن المنتظر أن يكون له أثر واضح في عدد من الحقول المعرفية الأخرى غير دراسات الإرهاب؛ كالعلاقات الدولية، والدراسات الأمنية (النقدية)، وتحليل/ تسوية النزاعات، وعلم الاجتماع السياسي، وغير ذلك من الحقول. ومع ذلك، يشدد الكتاب على مجموعة من الفجوات التي تبقى في حاجة إلى الردم. وفضلاً عما تم رصده في عرض المحتويات في الجزء الأول من هذه المراجعة، يؤكد الكتاب رجوع أبرز الفجوات الموجودة في الأدبيات، خاصة في ما يتعلق بأسباب الإرهاب سواء كان

تكشف أدبيات عديدة، أغلبها في حقل الدراسات النقدية للإرهاب، أنَّ المقاربات/ السياسات السائدة في مجال مكافحة التطرف غالباً ما تسيء تشخيص مسوغات العنف، ومن ثمَّ فهي تخفق في وقف أعمال الإرهاب، وتتشئ "جماعات من المشبهين"، وتفاقم انتهاكات حقوق الإنسان، وتغذي المظالم، كما تغذي الشعور بالخوف؛ وهكذا تتحول إجراءات مكافحة التطرف إلى مصدر لتغذية التطرف نفسه. ونظراً إلى الكيفية التي توسع بها نطاق مكافحة التطرف لتصبح أحد أهم المسارات المركزية في سياسات مكافحة الإرهاب، وإلى حجم الموارد المخصصة لذلك، وإلى تنامي انتشار آثارها في مختلف فضاءات الحياة الاجتماعية، فإنَّ هذه الأدبيات من شأنها أن تقدم أرضية صلبة لمزيد من البحث والنقد والمقاومة أيضاً.

من جهة أخرى، تهتم الدراسات النقدية للإرهاب بالبحث في أصول الحرب العالمية على الإرهاب واستمرار ارتباطها بالاستجابات العسكرية للإرهاب أساساً، فضلاً عن الاهتمام بتوثيق آثار هذه الحرب وتقييمها، على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية؛ في العلاقات الدولية، والقانون الدولي، وحقوق الإنسان، والاستقرار الإقليمي، وعمليات السلام، والتنمية الدولية، والتعاون الدولي، وغير ذلك. وقد أثبتت هذه الدراسات، على نحو واضح، أنَّ الحرب العالمية على الإرهاب كانت فاشلة بكل المقاييس، متسببة بهدر كبير للأرواح والموارد، كما أنَّها فشلت في تقويض تنظيم القاعدة، بل إنها أفرزت، على العكس مما كان مرغوباً فيه، جماعات جديدة (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام مثلاً)، وأدَّت إلى زعزعة الاستقرار في أقاليم عديدة على غرار الشرق الأوسط، وقوّضت عدداً من عمليات السلام الجارية، وتسببت بزيادة مستويات العسكرة، وتقويض النظام العالمي لحقوق الإنسان.

تبقى هناك حاجة إلى المزيد من البحوث في شرعية الأشكال السلمية وغير العنيفة لمكافحة الإرهاب، ومدى فعاليتها؛ كالحوار، والمفاوضات، والوساطة، والإصلاحات السياسية، والتعامل مع المظالم، وما شابه ذلك. ولئن كان ثمة أدبيات قليلة، ومهمة في الآن نفسه، حول فاعلية الحوار في الحد من الإرهاب، مقابل وجود أدبيات عديدة بشأن دور التفاوض والوساطة في النزاعات المسلحة، فإنَّ الحاجة إلى مزيد من الدراسات المعمقة تبقى ملحة في ما يتعلق بظروف المفاوضات، وكيفية، مع الجماعات التي تستخدم إستراتيجيات إرهابية مؤطرة بشرعية ما وفعالة.

فضلاً عن ذلك، توجد حاجة أيضاً إلى المزيد من البحث في آليات المقاومة والاحتجاج على آثار مكافحة الإرهاب والحرب على الإرهاب في حقوق الإنسان، وخصوصية الأفراد، وحرية التنقل، وما شابه ذلك. كما تبقى هناك حاجة إلى المزيد من البحوث من منظور الجنوب الكبير Global South أشدَّ إلحاحاً، وخصوصاً من منظور البلدان التي تحملت/ تتحمل وطأة الحرب على

5 يمكن الاطلاع، في هذا الشأن، على دراسة حديثة لمحرر الكتاب بمشاركة غارث هال، انظر:

Richard Jackson & Gareth Hall, "Talking about Terrorism," *Politics*, vol. 36, no. 3 (2016), pp. 292-307.

أنّ البحث عن تعريف ملائم للإرهاب لا يزال جاريًا. إنّ استعصاء تعريف "الاجتماعي" ظاهرة لا تقتصر على الإرهاب، بل إنها تتعلّق بالظواهر التي تدرسها العلوم الاجتماعية كافةً. غير أنّ خصوصية الإرهاب تأتي من كونه توصيفًا أكثر من كونه مفهومًا قابلاً للضبط والاستعمال من دون محاذير، معرفية وسياسية، تُذكر.

إنّ الإرهاب مستعصٍ على التعريف؛ لأنّ كلمة "إرهابي"، أوّلًا، هي وصفٌ لم يطلقه الإرهابي على نفسه، وإثما وصفته به دولٌ يستهدفها الإرهابي. وهكذا، يتم توصيف أعمال عنف معيّنة على أنها إرهاب (تلك التي يرتكبها فواعل من غير الدول أساسًا)، بينما يتم الإبقاء على أعمال عنف أخرى؛ مثل أعمال العنف التي ترتكبها الدولة، في خانة العنف المشروع (المشروع للدولة احتكاره مثلاً)، ولأنّ كلمة "إرهابي"، ثانيًا، هي كلمة توظيفية ومعيارية تفتقر إلى الدقة العلمية، فهناك مثلاً دول غربية تعدّ بعض دول الشرق الأوسط، مثل إيران وسورية والعراق سابقًا، دولاً إرهابية، كما أنّ هناك دولاً عربية تعدّ إسرائيل مثلاً دولة إرهابية. وفي الوقت نفسه، غالبًا ما تعدّ الدول غير الديمقراطية المعارضة إرهابًا، وحتى تلك الدول التي كانت تُصنّف إلى وقت قريب على أنها ديمقراطية تتصرّف بالطريقة نفسها. وهنا يمكن الاستعصاء في التعامل مع كلمة "الإرهاب"، فضلًا عن تعريفها.

ينبغي للدراسات النقدية للإرهاب أن تستمر في التلاقح مع الدراسات الأمنية النقدية واستلهاً أطروحاتها؛ خاصة منها نظرية الأمانة⁽⁸⁾. بعد هجمات 11 سبتمبر، زعم جان بودريار Jean Baudrillard أنّ "الإرهاب، كالفروسات، منتشرٌ في كلّ مكان"⁽⁹⁾. وهكذا، هيمن الخطاب القائل إنّ الإرهاب "تهديد عالمي وشيك" يتطلب "حربًا عالمية" بلا هوادة. وعلى الرغم من أنّه في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تمّ إعلان الحرب العالمية على الإرهاب، يُعدّ احتمال فقدان الشخص حياته في حادث مرور أو في حادث إطلاق نار من سلاح شخصي لأميركي آخر أعلى كثيرًا من احتمال فقدان حياته

8 "الأمانة" هي إضفاء طابع التهديد الأمني على مسألة هي في الأصل ليست كذلك. وتتم الأمانة عبر عملية خطابية، حيث يعمل الخطاب على الاستدلال بوجود تهديد يمس البقاء المادي أو المعنوي لموضوع مرجعي ما قد يكون الدولة، أو الفرد، أو الجماعة، أو الهوية. ويتمثل الهدف من أمانة مسألة ما بشرعنة اللجوء إلى تدابير استثنائية تكون الغاية منها تأمين الموضوع المرجعي الذي يكون محلّ تهديد من التهديدات المحدقة به، ويجري ذلك من خلال نقل تلك المسألة المؤمنة من نطاق السياسات العامة العادية إلى نطاق السياسات الطارئة، حيث يمكن التعامل معها بسلاسة أكثر؛ معزل عن الضغوط والقيود التي تمارسها الضوابط الديمقراطية لصناعة القرار، انظر مثلاً:

Ole Weaver, "Securitization," in: Christopher Hughes & Lai Yew Meng (eds.), *Security Studies: A Reader* (London and New York: Routledge, 2011).

9 جان بودريار، *روح الإرهاب*، ترجمة بدر الدين عرودي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)، ص 15.

مصدره الدولة أو فواعل أخرى غير الدولة وسواء مُورس في المجال العمومي أو الخاص، إلى النزعة السائدة التي تركز على الاستجابات وردات الفعل الرسمية خصوصًا حيال الإرهاب، بدلًا من التركيز على الإرهاب في حدّ ذاته. إنّ ما يبرر الادعاء بوجود هذه الفجوة المنهجية هو أنّ السواد الأعظم من الخبراء والمتخصصين الذين يتحدثون عن "الإرهاب" لم يتحدثوا قطّ إلى "إرهابيين".

من ناحية أخرى، يدعو الكتاب إلى الاهتمام أكثر بتقديم روايات سببية حول جذور الإرهاب وأسبابه العميقة، وذلك عبر التركيز على كيفية تشكل ذاتيات الجماعات وسلوكياتها (كيفية تشكلها فكريًا، وخطابيًا/ لغويًا، وماديًا)، والتركيز على الأنماط الديناميكية للتفاعل بين الدول والجماعات المضطهدة والمقاومة العنيفة، والتركيز أيضًا في أثر السياسات الخارجية في حفز أنماط عنيفة للمقاومة وتأجيحها (يُعدّ الارتباط السببي بين السياسات الخارجية الغربية، القسرية والقمعية، واستخدام المقاومة العنيفة من جهة جماعات مسلحة تصنف على أنها إرهابية من أبرز اهتمامات الدراسات النقدية للإرهاب).

عمومًا، يجب أن يستمر نقد هيمنة الإستيمولوجيا ما بعد الوضعية على الدراسات النقدية للإرهاب، ذلك أنه من المرجح أن تحول دون إحراز تقدّم يُذكر في هذا الصدد؛ لأنّ تبني منطلقات هذه الإستيمولوجيا غالبًا ما يعني الزهد في الادعاءات السببية عندما يتعلق البحث بالعالم الاجتماعي. وفي هذا السياق، يمكن التحويل على وعود النزعة الانتقائية التحليلية لردم هذه الفجوة⁽⁶⁾، حتى لا يقع الحقل المعرفي ضحية لهيمنة إحدى الفلسفتين المتعارضتين (الوضعية وما بعد الوضعية). وسيتمّ التركيز في ما تبقى من هذه المراجعة على ثلاث فجوات أخرى، ينبغي للدراسات النقدية للإرهاب أن تجتهد في ردمها؛ حتى تحافظ على هويتها المعرفية بوصفها مشروعًا بحثيًا نقديًا.

أولًا: تحتاج الدراسات النقدية للإرهاب إلى مراجعة وإعادة النظر في "تعريف كيفية تعريف الإرهاب" *Redefining how to define*، وهي خطوة تأملية Reflexive ضرورية شبيهة بما يسميه الإستيمولوجيون "فهم الفهم" أو "التنظير حول التنظير". ويقدم جوزيف أيسون Joseph Easson وألكس شميد مسحًا غير حصري يشتمل على مئتين وخمسين تعريفًا مختلفًا للإرهاب⁽⁷⁾. بل إنّ معظم الباحثين لا يجدون حرجًا في وضع قائمة بالتعريفات، بعضها يصل إلى العشرات، ثم يضيفون تعريفاتهم إليها. ومنهم من يُدرج لوائح قد تبلغ مئة تعريف أو تزيد على ذلك، ثمّ يخلص في النهاية إلى

6 حول مزايا الانتقائية التحليلية ووعودها، انظر: محمد حمشي، "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية"، *سياسات عربية*، العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017)، ص 40-54.

7 Alex Schmid (ed.), *The Routledge Handbook of Terrorism Research* (Abingdon and New York: Routledge, 2011), pp. 99-148.

هو، إضفاء الطابع السياسي عليها. وبالنسبة إلى باري بوزان وآخرين، فإنَّ كلَّ مسألة يمكن وضعها على امتداد مسار يظهر في شكل طيف، إذ تكون غير ميسّسة في البداية؛ بمعنى أنَّ الدولة لا تتعامل معها، وأنها لا تُعد جزءاً من النقاش العام، ثم يتم تسييسها؛ أي إنها تصبح جزءاً من السياسة العامة للدولة، بحيث تتطلب من الدولة التعامل معها من خلال تخصيصها بقرارات وموارد معيّنة، ثم يتم أخيراً أمنيتها؛ بمعنى أن يجري تقديمها على أنها تهديد أمني وجودي، ما يتطلب نقلها إلى مجال السياسة الأمنية للدولة، وتبرير التعامل معها عبر إجراءات حالة الطوارئ⁽¹⁴⁾.

ينبغي للدراسات النقدية للإرهاب أن تسلط مزيداً من الضوء على فكرة أساسية متمثلة بأنَّ أمنة العنف السياسي ووصفه بالإرهاب، أو وصف مرتكبيه بالإرهابيين، أمرٌ غالباً ما ينتهي إلى تجاهل دوافع هذا العنف ومسوغاته ومدى شرعيته، وحتى مدى عقلانيته. وهذا التجاهل، بدوره، غالباً ما ينتهي إلى تشييء Reifying العنف وعزله عن سياقه الاجتماعي والتاريخي الذي فيه يُبنى ويُعاد بناؤه باستمرار⁽¹⁵⁾.

ثانياً: تتصدى الدراسات التي تعنى بنقد الإرهاب لخطاب مكافحة الإرهاب والحرب العالمية عليه، من الناحيتين التفكيكية والنقدية، ومن خلال الكيفية التي يتم بها توظيفه لتبرير إجراءات وتدابير بشأن تقويض الحريات وانتهاك حقوق الإنسان. وبذلك، بدلاً من القضاء عليه، تتحوّل إجراءات الحرب على الإرهاب وتدابيرها ومكافحته إلى مصدر لتغذية الإرهاب نفسه (فصول القسم الثالث)⁽¹⁶⁾.

في هذا السياق، يشدد تشارلز تاوونزد على ضرورة التمييز بوضوح بين "الإجراءات المضادة للإرهاب" و"مكافحة الإرهاب"، ومن ثمَّ فإنَّ على الدراسات النقدية للإرهاب أن تُعيد إبراز هذا التمييز. يبدأ

14 Ibid., pp. 23-24.

15 يرى عبد النور بن عنتر أنَّ هذه العملية تبقى، من المنظور السياسي، مقصودة؛ فالدولة لا تريد البحث في مسوغات الإرهاب ودوافعه ومصادره، لأنها تستفيد من توظيفه على نحو آخر. فهل يمكن أن تعمل سلطة سياسية، حقاً، على التخلص من ظاهرة توظفها لخدمة مآربها محلياً وخارجياً؟ إنَّ التحليل، في هذا السياق، ينطبق على الدول غير الديمقراطية وعلى القوى الديمقراطية النافذة التي توظف الإرهاب في سياسات القوة عالمياً. انظر: عبد النور بن عنتر، مقابلة عبر البريد الإلكتروني، 2018/1/6.

16 في السياق نفسه، يتحدث بن عنتر عن "مخاطر إعادة إنتاج الإرهاب عبر سياسات مكافحته، خاصة مع تحوّل محاربة الإرهاب إلى أداة سياسية للصراع الداخلي، ما يطيل أمد الأزمات. فبعد ست عشرة سنة من إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، وركوب الدولة الأمنية العربية الموجة، فإنَّ الإرهاب [صار] أقوى من أي وقت مضى، بل إنَّ مكافحته تحولت إلى صناعة للإرهاب، إذ كلما زادت حدة عسكرية ودولة مكافحة الإرهاب، استفحلت الظاهرة وتصلّب عود الجماعات الإرهابية المحلية والعبارة للحدود [...] لذلك، فإنَّ تبني إستراتيجية وقائية بات ضرورياً بتحديد المعالجة السياسية والاجتماعية للأزمات والعنف بالتكفل بمصادرها، لا بأعراضها. فاللجوء إلى الأداة العسكرية لمحاربة الإرهاب يدل أيضاً على فشل في المعالجة الاجتماعية والسياسية". انظر: عبد النور بن عنتر، "البعد الإفريقي للأمن الجزائري: معوقات الشراكة الأمنية"، ورقة غير منشورة، الملتقى الدولي "الجزائر وأفريقيا"، قسم العلوم السياسية، جامعة قلمة، الجزائر، 30-31 تشرين الأول/أكتوبر 2017، ص 17 (تم الاقتباس بموافقة الكاتب).

في هجوم إرهابي⁽¹⁰⁾، فإنَّ الخطاب السائد يستمر في تقديم الإرهاب على أنه أكثر ما يقصّ مضاجع الناس عبر العالم، إلى حدِّ أن يجد الناس أنفسهم، في مختلف أنحاء العالم، في حالة طوارئ لا تخفّ حدتها ولا تنتهي مدتها، وفي حرب عالمية على الإرهاب تتساوى في تداعياتها وفي صعوبة فهمها مع الإرهاب نفسه⁽¹¹⁾.

إنَّ العنف السياسي لا يُسمّى إرهاباً إلا إذا اعتبرته النخب القابضة في السلطة إرهاباً، وتكلّمت عنه، وسوّقت له سياسياً بوصفه إرهاباً أيضاً. وبناءً عليه، يصبح الإرهاب، كغيره من التهديدات الأمنية المبنية اجتماعياً، موضوعاً لعملية أمّنة عبر ممارسة خطابية Discursive معقّدة. ويمكن العودة، في هذا الشأن، إلى أطروحة أول ويفر الذي يستعين بنظريات اللغة ليحاجّ بضرورة إعادة النظر إلى الأمن باعتباره فعلاً من أفعال الخطاب. فالأمن لا يشكّل إشارة إلى الإحالة على تهديد ملموس، لأنَّ التكلّم على الأمن هو في حدِّ ذاته الفعل⁽¹²⁾؛ أي إنه ما إنَّ تبدأ الدولة في التكلّم Uttering على وجود "تهديد للأمن"، فهي تقوم بنقل شيء ما إلى قطاع محدد للسياسة (السياسة العليا للدولة)، ومن ثمَّ تعطي لنفسها الحق في استعمال "كلّ" التدابير الأمنية اللازمة للتعامل معه على أنه تهديد أمني وشيك. وهذا يعني أن التهديدات الأمنية، بما في ذلك الإرهاب، ليست سابقة على الخطاب الذي يقدّمها على أنها كذلك.

لماذا تلجأ الدول إلى أمنة الإرهاب على هذا النحو؟ الإجابة هي أنَّ أمنة فاعل ما، أو مسألة ما، تمنح النخب الحاكمة، التي تقع في السلطة، الحق في نقل ذلك الفاعل أو تلك المسألة من مجال "السياسات العادية" Normal politics، حيث يسود العمل بالقواعد الديمقراطية، إلى مجال "السياسات الاستثنائية/الاستعجالية" Emergency politics. حيث يتم تعليق العمل بهذه القواعد. وبذلك تحصل السلطة على حق معالجتها عبر إجراءات وأدوات استثنائية لم يكن مسموحاً بها قبل القيام بالأمننة.

وهناك ارتباط مفهومي وممارساتي، أيضاً، بين الأمنة والتسييس؛ إذ يمكن ملاحظة أنَّ الأمنة تُعدّ حالة متقدمة من التسييس، أو "النسخة الأكثر تطرفاً للتسييس"⁽¹³⁾. والمقصود الحرفي بتسييس مسألة ما،

10 تشير الإحصائيات إلى أن 3521 أميركياً لقوا حتفهم في هجمات إرهابية خلال الفترة 2014-1970، بينما شهدت سنة 2015 وحدها 9948 قتيلاً في حوادث عنف باستعمال سلاح شخصي، وقد سجّلت السنة نفسها 589430 ضحية لمرض السرطان، انظر:

Philip Bump, "president Obama is right that Guns Kill more Americans than Terrorism. So do lots of other things," *The Washington Post*, 1/10/2015, accessed on 7/2/2018, at: <http://wapo.st/2Eje7te>

11 تشارلز تاوونزد، الإرهاب: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة محمد سعد طنطاوي (القاهرة: هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص 9.

12 Weaver, p. 95.

13 Barry Buzan, Ole Wæver & Jaap de Wilde, *Security: A New Framework for Analysis* (Boulder- Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1998), p. 23.

ثالثاً: بما أنه على الدراسات النقدية للإرهاب، تحديداً، ألا تكتفي بالنقد، خصوصاً بشأن مكافحة الإرهاب، وأن عليها أن تبحث، أيضاً، في الأشكال غير العنيفة التي لا تُعيد إنتاج الإرهاب وتغذيته على نحو ما سبق، فإنه يجب دائماً تأكيداً حاجة هذا الحقل المعرفي الناشئ إلى الانفتاح على الأصوات القادمة من جغرافيات أخرى بعيدة عن الغرب، خصوصاً من تلك الجغرافيات التي تعاني وطأة الحرب على الإرهاب. ويمثل الشكل التالي توزيعاً جغرافياً للحوادث الإرهابية عبر العالم خلال المدة 2012-2015. وتبين المنحنيات البيانية أن المناطق التي تعرضت لأعلى النسب من الحوادث الإرهابية هي على الترتيب: الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فجنوب آسيا، وأفريقيا ما دون الصحراء. في حين أن المناطق التي تعرّضت لأدنى النسب هي على التوالي: أميركا الشمالية، وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية. ومن الواضح أنه على الرغم من أن الغرب يبقى أقل الجغرافيات تضرراً من الإرهاب، فإن الحقل المعرفي الذي يزعم التخصص في دراسة الإرهاب يبقى متمركزاً بشدة حول الغرب، ويستقطب باحثين، سواء كانوا منحدرين من الغرب أو ممن تلقوا تكوينهم فيه، أو يمارسون نشاطهم البحثي فيه أيضاً، أكثر من أي مناطق جغرافية أخرى.

تعدّ هذه الميزة المقلقة امتداداً طبيعياً لتمرکز حقل الدراسات الأمنية حول الغرب. وقد سبق أن شدّد باري بوزان ولين هانسن⁽²¹⁾ على أن هذه "الميزة" تُعدّ مشكلة أكثر من كونها وصفاً لحالة الحقل المعرفي ككله فقط. وبسبب هذه المشكلة، انتهى الحقل، كما يبدو، إلى حالة من الانغلاق المفرط، سواء تعلّق الأمر بحدود الجغرافيات المتناولة، أو بموضوعات الأمن، أو بمصادر انعدام الأمن المبحوث فيها، أو حتى بطبيعة النوع الاجتماعي الذي تركز عليه الدراسات الأمنية المتمركزة حول الغرب⁽²²⁾. وإذا أُريد لحقل الدراسات النقدية للإرهاب أن يكون نقدياً، بالمعنى الإيستيمولوجي للكلمة، فيجب، فضلاً عن إقحام باحثين غير غربيين مهتمين بمسألة الإرهاب، أن يتوقف الباحثون غير الغربيين أنفسهم عن إعادة إنتاج دراسات متمركزة حول الغرب؛ وذلك بالتوقف عن الشعور بأنهم مضطرون إلى التعبير عن انشغالهم بحالات انعدام الأمن في العالم غير الغربي (الإرهاب مثلاً)، باستخدام المفردات والمفاهيم المعطاة لهم مسبقاً؛ حتى يؤخذ كلامهم على محمل الجد، ويُنظر إليهم على

طيف الاستجابات البناءة من إعادة قراءة الإرهاب باعتباره عرضاً من أعراض غياب "العدالة الاجتماعية"، وتكون الاستجابة عبر إجراء إصلاحات فعّالة، ذات صلة بالأسباب الجذرية للإرهاب؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية و/أو الثقافية. هنا، لا بدّ للدراسات النقدية للإرهاب من أن تتجهد أكثر فأكثر في فحص هذه الأسباب والإصلاحات الملائمة لمعالجتها، لأنّ التجريم المفرط للإرهاب تنجم عنه "إجراءات هجومية ممنهجة" لا تقلّ عنفاً عن الإرهاب نفسه، هذا في وقت يجب فيه "أن يكون العمل المضاد للإرهاب أكثر تمييزاً ومعياريّة من العمل الإرهابي"⁽¹⁷⁾.

على مستوى نقد الخطاب، لا بدّ للدراسات النقدية للإرهاب من الاستمرار في تفكيك خطاب الحرب العالمية عليه وفضح حججه وأساطيره المؤسّسة. هناك من يجادل بأن أفضل استجابة للإرهاب تتمثّل بعدم الخوف⁽¹⁸⁾؛ لأنّ الإرهاب يتغذى من خوف الجمهور وارتباك القرار السياسي حيال الإرهاب. لكنّ هذا الأمر يتطلّب، بالضرورة، تحوّلًا جذرياً في الخطاب السياسي/ الشعبي السائد. يجب التفتن إلى أنّ الإرهاب، بوصفه تهديداً لبقاء الدولة، خطاب منافي للواقع فقط. فالإرهاب ليس إلاّ تحدياً لاحتكار الدولة للقوة في معناها المرتبط بالقدرة على ممارسة "العنف الشرعي"؛ لذلك تبقى الحرب التي يمكن أن تخوضها دولة ضد الإرهاب، بهذا المفهوم المُبهم⁽¹⁹⁾، موضوعاً أساسياً بالنسبة إلى أجندة بحث الدراسات النقدية للإرهاب.

تتسم مقولة "الحرب على الإرهاب من أجل القضاء عليه" بالتهافت الشديد، خطاباً وممارسةً. وهناك من الأسانيد الإحصائية ما يؤكّد ذلك. فقد وجدت دراسة تحليلية سابقة، صادرة عن مؤسسة "راند" RAND، شملت 648 جماعة إرهابية، كانت تنشط خلال الفترة 1968 - 2006⁽²⁰⁾، أنّ 10 في المئة فقط منها حقّقت ما يمكن اعتباره "انتصاراً" لأهدافها؛ بينما تم "سحق" 7 في المئة فقط بإنهاء نشاطاتها الإرهابية، من خلال استخدام القوة العسكرية، وتم القضاء على جزء كبير باستخدام أدوات غير عسكرية تماماً (40 في المئة عبر تحقيقات شرطية، و42 في المئة عبر تسويات سياسية).

17 تاونزند، ص 121-122.

18 المرجع نفسه، ص 117.

19 بدلاً من إعلان الحرب على الجماعات/ التنظيمات/ الشبكات الإرهابية، يتم إعلان الحرب على الإرهاب نفسه، وهو ما يبرز حيرة المؤرخ العسكري، مايكل هاورد، الذي سبق أن أثار السؤال حول إمكان شن حرب على اسم مجرد من قبيل "الإرهاب" مثلاً.

20 تاونزند، ص 139.

21 Barry Buzan & Lene Hansen, *The Evolution of International Security Studies* (New York: Cambridge University Press, 2009).

22 Pinar Bilgin, "The 'Western-Centrism' of Security Studies: 'Blind Spot' or Constitutive Practice?" *Security Dialogue*, vol. 41, no. 6 (December 22, 2010), p. 616.

خلاصة: ماذا يعني أن تكون دراسات الإرهاب نقدية؟

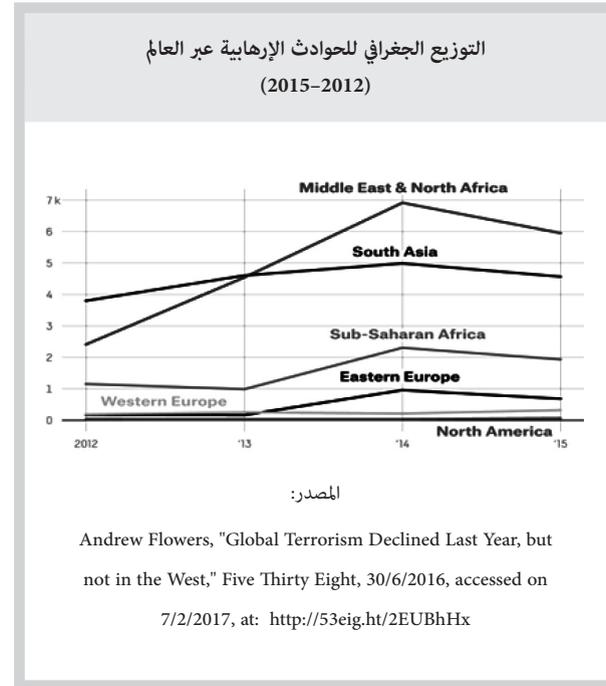
إذا افترضنا وجود تقاطع بين الدراسات النقدية للإرهاب والدراسات الأمنية النقدية من جهة، والنظرية النقدية في العلاقات الدولية من جهة أخرى، فإن ذلك من شأنه أن يُسهّل من مهمة الإجابة عن السؤال. أن تكون دراسات الإرهاب نقدية يعني ألا تتعامل مع الإرهاب على أنه مصدر للمشكلات بالنسبة إلى الوضع القائم Status quo، بل باعتباره مشكلة من مشكلات الوضع القائم في حد ذاته، وهو ما يميّزها من الدراسات التقليدية للإرهاب القائمة على منطق حلّ المشكلات.

إذًا، أن تكون دراسات الإرهاب نقدية يعني أن تُسأل الوضع القائم بدلاً من التسليم به والتعامل معه كمعطى مسبق، بل إنه يجري الدفاع عنه، أحياناً، كما تفعل الدراسات التقليدية؛ ما يجعلها محافظة على الوضع القائم، ويعني، أيضاً، أن تُسأل الخطاب المهيمن بدلاً من الاستمرار في إعادة إنتاجه وتبرير مسوغاته. ينبغي لها أن تتجهّد في تحدي الأساطير المؤسسة على الإرهاب ومساءلتها، وهي أساطير ينتجها الخطاب السياسي السائد ويعيد الخطاب الإعلامي الشعبي إنتاجها باستمرار؛ كالادعاء أن الإرهاب يمثل تهديداً واضحاً ووشيكاً للأمن العالمي، أو الادعاء أن الإرهابيين هم أشخاص غير متزنين عقلياً و/ أو نفسيّاً، أو الادعاء أن لبعض الشعوب والمجتمعات ميلاً إرهابياً بحكم دينها أو عرقها أو ثقافتها.

للقيام بذلك، يبقى هذا الحقل المعرفي الناشئ، ونعني خاصة الباحثين الذين شرعوا في الاهتمام بموضوع الإرهاب بعد 11 سبتمبر، في حاجة إلى الاطلاع على نحو أعمق على ما هو مكتوب في تخصصات فرعية أخرى؛ مثل دراسات العنف السياسي، ودراسات التمرد والعصيان، ودراسات الثورات والحركات الاجتماعية، وغيرها. إن تجريد دراسات الإرهاب من البحوث والتأملات الكلاسيكية المؤسسة، من مختلف هذه الحقول المعرفية، هو ما يبرّر، تحديداً، الاعتقاد السائد أن الإرهاب الذي يُهدّد اليوم الدول (الغربية خصوصاً) غير مسبوق، سواء كان ذلك من حيث الشكل، أو من حيث حدّة التهديد. أخيراً، أن تكون دراسات الإرهاب نقدية يعني أن تعمل على توسيع مفهوم الإرهاب⁽²⁵⁾؛ بحيث تتجاوز التعريفات والمقاربات المتمركزة حول الدولة، ومن ثمّ يتمّ توسيع أجندة البحث لتشمل ما يُسمّى إرهاب الدولة في حدّ ذاتها؛ أي الدولة بوصفها موضوعاً، وبوصفها مصدرّاً للإرهاب أيضاً.

أنهم ينتجون معرفة علمية، لا آراء وانطباعات فقط⁽²³⁾. من هذا المنظور، يمكن القول إن الدراسات النقدية للإرهاب الناشئة تبقى في حاجة إلى نقد أعمق يقبها الانغلاق والتمركز.

يمكن قراءة هذه التوصيات في سياق مشروع معرفي أوسع، هو مشروع البحث في إمكانية التأسيس لنظرية/ نظريات غير غربية في العلاقات الدولية بوجه عام⁽²⁴⁾. وهو مشروع واعد بالنظر إلى الحجج التي تؤكد أن النظرية/ النظريات الغربية ليست العدسة الوحيدة التي ننظر بها إلى العالم، وأنها ينبغي ألا تكون كذلك. وبالنظر إلى الدرس الذي تعلمنا إيّاه روبرت كوكس، أيضاً، فإنّ "النظرية هي دائماً من أجل "شخص معيّن"، خدمة لـ "غرض ما"، كما ذكرنا آنفاً، إذ يبدو أن للعالم غير الغربي، على اختلاف الهويات ومحددات المصالح، مصلحة في نظرية/ نظريات مختلفة في العلاقات الدولية تحدّث عنه، وعن مصالحه.



23 Ibid., pp. 619-620.

24 على سبيل المثال، انظر:

Amitav Acharya & Barry Buzan (eds.), *Non-Western International Relations Theory: Perspectives on and beyond Asia* (Abingdon and New York: Routledge, 2010).

25 Richard Jackson et al. (eds.), *Critical Terrorism Studies: A New Research Agenda* (London and New York: Routledge, 2009), p. 228.

المراجع

العربية

Buzan, Barry, Ole Wæver & Jaap de Wilde. *Security: A New Framework for Analysis*. Boulder- Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1998.

Cox, Robert. "Theory, Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations." *Millennium*. vol. 10. no. 2 (1981).

Flowers, Andrew. "Global Terrorism Declined Last Year, but not in the West." *Five Thirty Eight*. at: <http://53eig.ht/2EUBhHx>

Hughes, Christopher & Lai Yew Meng (eds.). *Security Studies: A Reader*. London and New York: Routledge, 2011.

Jackson, Richard, Eamon Murphy & Scott Poynting (eds.). *Contemporary State Terrorism: Theory and Practice*. London and New York: Routledge, 2010.

Jackson, Richard (ed.). *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*. London and New York: Routledge, 2016.

Jackson, Richard et al. (eds.). *Critical Terrorism Studies: A New Research Agenda*. London and New York: Routledge, 2009.

Jackson, Richard & Gareth Hall. "Talking about Terrorism: A study of vernacular discourse." *Politics*. vol. 36. no. 3 (2016).

Schmid, Alex (ed.). *The Routledge Handbook of Terrorism Research*. Abingdon and New York: Routledge, 2011.

بن عنتر، عبد النور. "البعث الإفريقي للأمن الجزائري: معوقات الشراكة الأمنية". ورقة غير منشورة. الملتقى الدولي "الجزائر وأفريقيا". قسم العلوم السياسية. جامعة قالمة. الجزائر. 30-31 تشرين الأول/ أكتوبر 2017.

بودريار، جان. *روح الإرهاب*. ترجمة بدر الدين عرودي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.

تاونزند، تشارلز. *الإرهاب: مقدمة قصيرة جدًا*. ترجمة محمد سعد طنطاوي. القاهرة: هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.

حمشي، محمد. "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية". *سياسات عربية*. العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017).

الأجنبية

Acharya, Amitav & Barry Buzan (eds.). *Non-Western International Relations Theory: Perspectives on and beyond Asia*. Abingdon and New York: Routledge, 2010.

Bilgin, Pinar. "The 'Western-Centrism' of Security Studies: 'Blind Spot' or Constitutive Practice?" *Security Dialogue*. vol. 41. no. 6 (December 22, 2010).

Buzan, Barry & Lene Hansen. *The Evolution of International Security Studies*. New York: Cambridge University Press, 2009.